الورقة الحادية عشرة

« رسالة من ابي رداً على احدى رسائلي الباكية (*) »

إن كنتُ في عيني « أبي رضوان (١) » شيئاً مُزعجا ،
قدراً كأصلي ، ليسَ من حقي الكلامْ
كالناس . . مَشْؤومَ الجبينِ السّمْجِ ، مَوْبوءِ العِظامْ
كأحطِّ أنواعِ الهوامْ
شَفَتايَ تَلتَقِطانِ قوتَهما ، وصدغي في الرّغامْ
كأحطِّ أنواعِ الهوامْ
كما يقول بحدّةٍ متشدّقا
ومُلوِّحاً ببساره الشّوها ، ليَصْفَعَني بكلِّ وقاحةِ
ليُذلّني ، ليُميتَ خيطاً في فمي مُتَوهّجا ،
ليظلَّ يذكرُني جدارَ تَفاهَتي ،
ولهُاثَ نيرٍ عُلّقا
في قَبْونا من ألفِ عامْ
إن كنتُ في عينيه ـ لاسَلِمتْ لهُ عينٌ ـ خَسيساً أحمقا ،
وبَعُوضةً سَوداءَ في صهريجِهِ ، شدَّتْ الى وَسْلٍ وَطينْ
مَهلاً بُنيَّ ! فإنّني مازلتُ أؤمنُ بالسعادةِ بعضَ حينْ
مازلتُ أؤمنُ بَعضَ حينٍ ،
فالفَوانيسُ المضيئةُ من كوى الأحزانِ
تَصنعُ ثقبَها في الليلِ كالجرذانِ مهلاً ! والحَياه
عُلّيقةٌ في ثديِها المأكولِ تنقُرُ ضحكتانْ
كالوَحلِ تَنشَفُ في حراجِ الشمس ، قشرةُ أفعوانْ
الوقتُ محْرقةٌ ـ يقال ـ تَنوءُ في الليلِ الأخيرِ بجَرّ
(قافلةِ الدخانِ ،
فلا تُفَتّشْ في حياتِكَ يا بُنيَّ ، كما نُعَرّي إمرأه
مَهلاً ! لأنَّ الوقتَ قشرةُ أفعوانْ
كالأفعوانِ يَشُقُّ في عينِ السّماءِ ، قميصَهُ المتهرّئه
. . . وأنا وإنْ لم أطْوِ في رأسي كتاباً من حقيبةِ كُتْبِك
(الصُّفرا ،
فلي من نَورَجِي المشْجوجِ ، من محراثيَ الثّرثار ،
من إعوالِ ساقيةٍ مُقيَّدةِ الفِكرَ
من نَجْمةٍ في طاقتي مَشْنوقةٍ ،
وعمامةٍ تأوي الى سَقْفي وفي فمِها حَجَرْ ،
من رَبْوةٍ جرَّحتُها بأصابعي العَجْفاء ،
لي من سَلْخِ عمري خَلفَ أذناب البَقَرْ ،
في خدمةِ البيكِ الزّنيمِ وزوجِهِ العُرّى
قراءاتٌ ولي . . . لي يابُنيَّ ، من ارْتِطامِ مشاعري
(الكُبرى قراءاتٌ أُخَرْ .
لو كنتُ أملكُ رَصْفَها
لبكَيتَ مثل بكاكَ أمسِ ، بكَيتَ من حزني المديدْ
سبعين عام
وأنا أعيشُ كبكْرَةٍ مَنْصُوبةٍ
سبعين عام
أَلِغُ الحجارَ وسُحْمَةَ القِدْرِ الملاطةِ بالسّماء الجَدْبةِ
سبعين عام
وانا انامُ على حصيرَه
في قرنةٍ مثلوجةِ الانفاسِ ، مُنْتَنةٍ صغيره
في دار سيّدنا الكبيرَه
ذات الطنافس والمدافيء والخزائنْ
الدافئات بطونُها الحُلَلَ الكثيرَه
والمعجن المجْبُول من لحمي ولحمكَ ، والمعادنْ
اللامعات حيالَ اعيُنِنا الحقيرَه
وانا ووالدتي ووالدي العجوزْ
كُنّا نَنامُ بجنبِ هاتيكَ الكنوزْ
كُنّا ننامُ على حصيرَه
شَهِدَتْ ولادتَكَ العَسيرَه

(*) من مجموعة « من اوراق عاطل عن العمل »
(١) لقب البيك

عندما يستيقظ الخريف

قصة بقلم خالد الشريقي

(يا اهلها ... ويا طالباتها .. لا تؤمنوا بآخر خيط من قصتي .. اني اكذب عليكم ..)

انها على يقين بانه يعرف عدم رغبتها في التدخين ، ومع ذلك فقد قدم لها احدى سجائره حين هم بأن يدخل غرفته، وكادت ترفضها لولا انه قال:

ـ انا في غرفتي عندما تريدين اشعالها .

ورأت في عينيه الاصرار ، وشيئا آخر كان يتراقص امامها لم تدركه فمدت اليه يدها المعروقة ، وتناولت السيجارة ، ودخل غرفته . كان ابوه قد ذهب لينام ، وامه راحت لتحضر لها فنجان الشاي ، فبقيت معه في الصالون الذي اعتادت ان تسهر فيه بعض لياليها مع اهله . وفي ذلك الوقت قدم لها السيجارة، وصفق الباب وراءه .

ولم تنتظر طويلا ، بل دخلت غرفتها بعد ان شربت فنجان الشاي . وقالت لامه ان رأسها يؤلمها . ووضعت السيجارة بقربها على الطاولة . لم يكن رأسها يؤلمها كما ادعت . انما شعرت برغبة ملحة في الجلوس لافكارها ، ونزلت في فراشها .

ـ انا في غرفتي عندما تريدين اشعالها .

تمنت لو قال اكثر من ذلك ، اذن لاستطاعت ان تفهم شيئا من مراميه. وتمنته لو لم يدخل غرفته في ذلك الوقت ، فربما استطاعت ان تقرأ في عينيه الفكرة التي تدور في رأسه ان كان يقصد شيئا .

انه يريدها ان تذهب اليه في هذا الوقت من الليل بعد ان نام جميع اهله ليشعل لها سيجارة لا ترغب في تدخينها . هل تستطيع ان تقنع نفسها بهذه الفكرة ؟.

وتململت في سريرها ..

لقد اعتادت ان تغفو في مثل هذه الساعة . فاطبقت جفنيها ... ولكن سرعان ما انتابتها رعشة خفيفة .. لن تستطيع النوم قبل ان تحل هذه العقدة ... هل تذهب اليه لتسأله ماذا يقصد ؟.

وتململت مرة اخرى ...

صباح هذا اليوم قالت لها امه :

ـ سيذهب غدا يا سميرة لانتهاء اجازته ، هل ترين كيف مضت هذه المدة سريعا ؟

انها لا تنكر بأن هذه الايام الاربعة مضت سراعا . لقد كانت رشيقة ممراحة على غير عادتها . لقد شعرت بذلك الليله التي قدم فيها . وكانت تعد الساعات التي تقضيها في المدرسة مع طالباتها ، لتذهب بعدها الى البيت حيث تجده مع اهله يضاحك اخواته . وكان يبتسم لها ، ويصافحها بحرارة ، ويجلس معها احيانا ليحدثها عن ارض الحدود التي يعيش فيها ، والليالي الضاحكة التي يسهرها مع رفاقه الجنود ، وهي تصغي اليه بلهفة . ربما لم تتابع كلماته احيانا ، بل كان خيط ـ لا تراه ـ يربط عينيها بشفتيه اللتين تتحركان بآلية خاصة تتمنى معها ان لا يسكت .

وقد تساءلت عن سر اهتمامها به. بل لقد عجبت من نفسها عندما نهضت مسرعة من فراشها بعد منتصف الليل على اثر ضجة في البيت عرفت منها انه قدم باجازة الى اهله . ووقفت امام مرآتها تصلح شعرها ، وتمسح عن عينيها اثر النوم ، وتفتح الباب لتدخل الغرفة التي التف اهله فيها حوله فرحين لقدومه ، وهو بلباسه العسكري ممددا فوق الكرسي تعبا ، لا يكاد يتكلم . ومدت له يدها :

ـ اهلا وسهلا ... الحمدلله على السلامة .

ونظر اليها دهشا ، انه لا يعرفها . وكاد يتساءل من تكون لولا ان قالت امه :

ـ انها المعلمة سميرة قد استأجرت احدى غرفنا .

وَخَاضَ أمّكَ في الصقيعِ ، خَاضَ أُمّكَ في الصقيعْ ،
والرّوثُ يَملأُ أنفها والخوفُ ، بالغَثَيانِ والنَفَسِ الثقيلْ
وسَعادةُ البيكِ الخليعْ
في داره ، تلكَ الكبيرَه
لصقَ الوجاقِ يَعَضّ من شِبَعٍ سريرَه .
... وَكَليلَةَ الأيتَامْ
في يومِ عيدْ
كانت لنا احلامْ
من مقلعِ الآلامْ

قُدّتْ ، ومن شَفَتي وَريدْ
يَستَنزِفُ الدّمَ ، والنّشيدْ
ما جَفّ بعد عليهما .
لكنّني ـ وبرغم ذلك يا بُنَيّ ،
رغمَ ارتكاضي في طريقْ
جوعي . . طريقِ شجيرةِ التّينِ اللّعينْ
مازلتُ أؤمنُ بعضَ حينْ
مازلتُ أؤمنُ بالسعادة بعض حينْ

هنري صعب الخوري